الشيخ عمرو الشرقاوي

اسم الدرس : أصول الإصلاح
تصنيف الدرس : دروس ومقاطع

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة:1]، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد ﷺ، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

أما بعد..

فإن من أراد أن يعرف منهجَ الأنبياءِ –صلوات الله وسلامه عليهم– لإصلاح الناس سيجد أن دعائم الإصلاح أو معالم الإصلاح التي يدور عليها منهج الأنبياء تكون في ثلاثة أمور.

أي إذا أردنا أن نعرف المناهج أو المعالم أو المدارات التي يدور عليها منهج الأنبياء في الإصلاح سنجد أن هذا المنهج واحدٌ وهو مكون من أمورٍ ثلاثة.

إذًا الرسلُ بعثها الله ﷻ للناس؛ ليحققوا ثلاثةَ أمورٍ:

- **الأمر الأول: سلامة المعتقد، أي أنهم يُصححون اعتقادَ الناس.**
- **الأمر الثاني: تصحيح العبادة، أي أنهم يصححون عبادة الناس.**
- **الأمر الثالث: تزكية النفس.**

إذًا ما أول أمر أرسل الله ﷻ من أجله الرسل، وأنزل الله ﷻ من أجله الكتب؟ سلامة المعتقد، وثاني شيء؟ تصحيح العبادة، والثالث؟ تزكية النفس. هذه المعالم الثلاثة هي معالم الإصلاح.

إذًا من أراد أن يُصلح أو من أراد أن يكون إنسانًا صالحًا، يتوفر فيه هذا الوصف؛ كونه صالحًا أو من الصالحين، فلابد أن يصحح هذه الأمور الثلاثة: لابد أن يكون سليم المعتقد، ولابد أن يكون صحيح العبادة، ولابد أن يكون زاكيَ النفس.

عندما نتكلم عن سلامة المعتقد كثيرٌ منَّا يظنُّ نفسَه بمنأى عن هذا، فيقول: نحن مُوحدون والحمد لله، لا نذهب للقبور، ولا ندعو الأولياء، ولا ندعو الموتى كما يفعل الأقوام، كثيرٌ من الناس يظنون ذلك، أنه سليمٌ من جهة العقيدة؛ لكن لو نظرنا إلى أصحاب النبي ﷺ وكيف كان خوفهم من الشرك والكفر

والنفاق ستجد أنه أمرٌ عظيم، أليست هذه نواقض التوحيد؟ أليس التوحيد إما أن يكون سليمًا وإما أن يكون ناقصًا؟

فالتوحيد له نواقض؛ هذه النواقض إما أن تكون نواقض تهدم أصل التوحيد، أو نواقض تهدم كمال التوحيد، فلو نظرنا في منهج الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والأئمة المهديين سنجد أنهم كانوا يخافون من الشرك، وكانوا يخافون من الكفر، وكانوا يخافون من النفاق.

قال بعض التابعين: "لقد أدركت كذا وكذا.. ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ"؛ أي أنه يخشى أن يكون منافقًا!

بل أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني أفضل رجل في الأمة بعد النبي ﷺ.

من هو أفضل رجل في الأمة؟ النبي ﷺ، ومن أفضل رجل بعد النبي ﷺ؟ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومن بعد أبو بكر؟ عمر بن الخطاب.

إذًا عمر بن الخطاب من العشرة الذين بشّرهم النبي ﷺ بالجنة، أي أنه يسير على الأرض وهو يعلم أنه من أهل الجنة، عمر من الذين بشرهم النبي ﷺ بأن الدينَ يملؤه.

قال النبي ﷺ: (بَيْنما أنا نائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ وعليهم قُمُصٌ، مِنْها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ومِنْها ما يَبْلُغُ دُونَ ذلكَ) على حسب ما يلبس الناس (ومَرَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وعليه قَمِيصٌ يَجُرُّهُ، قالُوا: ماذا أوَّلْتَ ذلكَ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الدِّينَ)[1]، إذًا سيدنا عمر دينه كامل؛ ومع ذلك يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان يسأله: "يا حذيفة ناشدتك الله، هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ مع القوم؟" – يقصد المنافقين–، فقال له حُذيفة: "لا، ولا أُزَكِّي بعدك أحدًا"، إذًا سيدنا عمر بن الخطاب يخاف على نفسه من النفاق! وثلاثون من أصحاب النبي ﷺ يخافون على أنفسهم من النفاق!

[1] [عن أبي هريرة:] بَيْنا أنا نائِمٌ، رَأَيْتُ النّاسَ يُعْرَضُونَ وعليهم قُمُصٌ، مِنْها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ومِنْها ما يَبْلُغُ دُونَ ذلكَ ومَرَّ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ وعليه قَمِيصٌ يَجُرُّهُ قالُوا ماذا أوَّلْتَ ذلكَ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الدِّينَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٩٠ • [صحيح]

إذًا يا عباد الله؛ من أولى بالخوف على نفسه من النفاق؟ أصحاب النبي ﷺ الذين شهد لهم النبي ﷺ بالإيمان، والذين زكاهم الله ﷻ ورضي عنهم في مُحكَم القرآن، أم هذه القرون التي جاءت من بعد الصحابة؟! نحن أولى أن نخاف على أنفسنا من النفاق من أصحاب النبي ﷺ.

الصحابة رضوان الله عليهم ثبت عن أحدهم أنه كان يقول حديثًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ: كانوا يقولون (اللهم إنا نعوذُ بك أن نشرِكَ بك شيئًا نعلمُه، ونستغفِرُك لما لا نعلمُه)[2]، إذًا كانوا يخافون على أنفسهم من الشرك، سبحان الله! أصحاب النبي ﷺ يخافون على أنفسهم من الشرك.. أصحاب النبي ﷺ يخافون على أنفسهم من النفاق!

فلماذا لا نخاف؟!

إذًا نحاول أن نقف مرة أخرى لكي نحقق المعلم الأول من معالم الإصلاح وهو سلامة المعتقد.

من مظاهر الشرك التي تقع أن يخاف المرء من غير الله ﷻ كما يخاف من الله، أنْ يخاف الإنسان من بشرٍ مثله لا يضر ولا ينفع، بل لا يملك هو لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، يخاف منه أكثر من الله ﷻ، إذًا من مظاهر الشرك أن يخاف الإنسان من رجلٍ كما يخاف من الله ﷻ.

من مظاهر الشرك أن يتوكل الإنسان على غير الله ﷻ، أن يكون قلبه مُعتمِدًا على غير الله في جلب نفع أو في دفع ضر، فهذا من مظاهر الشرك.

من مظاهر الشرك مطالعةُ النجوم كأمر الأبراج الذي يأتي في الأخبار؛ برجك اليوم كذا وكذا، هذا علم النجوم الذي نهى عنه النبي ﷺ، وهو دربٌ من العرافة، وقال النبي ﷺ: (من أتى كاهنًا أو عرَّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[3]، وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: (من أتى عرَّافًا أو ساحرًا أو كاهنًا فسألَهُ فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد كفرَ بما أنزلَ على محمَّدٍ)[4].

---

[2] [عن أبي موسى الأشعري:] يا أيها الناسُ ! اتَّقوا هذا الشِّركَ؛ فإنه أخفى من دبيبِ النَّملِ. فقال له من شاء اللهُ أن يقولَ: وكيف نتَّقيه وهو أخفى من دبيبِ النَّملِ يا رسولَ اللهِ ! قال: قولوا: اللهم إنا نعوذُ بك من أن نُشرِكَ بك شيئًا نعلَمُه، ونستغفرُك لما لا نعلمُه
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ٣٦ • حسن لغيره

[3] [عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم:] مَن أتى عَرّافًا فَسَأَلَهُ عن شيءٍ، لَمْ تُقْبَلْ له صَلاةٌ أرْبَعِينَ لَيْلَةً.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٢٣٠ • [صحيح]

[4] [عن [هبيرة بن يريم]:] عن عبد اللَّه بنَ مسعودٍ قالَ من أتى عرّافًا أو ساحرًا أو كاهنًا فسألَهُ فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد كفرَ بما أنزلَ على محمَّدٍ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ٣٠٤٨ • صحيح موقوف

إذًا يا عباد الله، هذا الشرك موجود في الأمة أم لا؟

موجود في الأمة بشدة، بعض الناس يقولون: الناس كلهم مُوحدون بالله ﷻ، لكن لا يمنع من ذلك أنهم يقعون في الشرك، ألم يقل النبي ﷺ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَضْطَرِبَ أَلَياتُ نِساءِ دَوْسٍ على ذي الخلصة)[5] أي سترجع عبادة الأصنام مرة أخرى.

أليس أيها الكرام رأيتم في بعض دول المسلمين يأمرونهم بالسجود لغير الله؟ ألم تروا المناظر التي تحدث في سوريا؟ يأمرونهم أن يسجدوا لغير الله، يأمرونهم أن يسجدوا لبشار –عياذًا بالله ﷻ– بل وصل من كفر بعضهم أنه يقول: لا إله إلا بشار –نعوذ بالله من الكفر– يأمرونهم أن يسجدوا لصور عياذًا بالله ﷻ، والفتى الذي أبى أن يسجد قتلوه فسبحان الله!

إذًا بعض المسلمين سيرجع إلى تأليه الأصنام، وتأليه الناس والبشر من دون الله ﷻ، فلابد أن تكون هناك ثورة لكي نرجع مرة أخرى إلى المعتقد الصحيح، واعلموا أن أي خلل يحدث في هذه الأمة فإنما هو قد نتج عن خلل في العقيدة.

انظر ربنا ﷻ ماذا يقول في هزيمة الصحابة يقول {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} تركتم التوكل على الله ﷻ، تركوا التوكل على مسبب الأسباب، فهذا خللٌ في العقيدة.

{فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[التوبة:25-27]

إذًا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هُزموا بسبب خلل في العقيدة؛ أنهم لم يتوكلوا على الله ﷻ حق التوكل، لو توكلنا على الله ﷻ حق التوكل لنصرنا ولكان معنا، ولما رأينا هذا الذي يحدث من استضعاف للمسلمين في كل مكان، لكن للأسف الشديد مازلنا نحتاج إلى سلامة المعتقد.

المعنى الأول من معالم الأنبياء في الإصلاح: سلامة المعتقد ولذلك أول أمر يدعو إليه الأنبياء ماذا؟ توحيد الله، {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ}[الأنبياء:25].

[5] [عن أبي هريرة:] لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى تَضْطَرِبَ أَلَياتُ نِساءِ دَوْسٍ على ذِي الخَلَصَةِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧١١٦ • [صحيح]

بعث الله ﷻ

- نوحًا إلى قومه { قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ }[الأعراف:59]
- هود إلى قومه { قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ }[الأعراف:65]
- صالح إلى قومه { قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ }[الأعراف:73]

إذًا لا بد أن يكون أول أمر تحققه لكي تكون صالحًا أو لكي تكون مصلحًا سلامة المعتقد؛ أن تكون عقيدتك سليمة وأن تكون هذه العقيدة في جوارحك.

انظر النبي ﷺ لما جاءه الأعرابي والنبي ﷺ نائمٌ في ظل شجرة، وكان النبي ﷺ معلقًا سيفه، فاختطف الأعرابي السيف؛ نزعه من غمده، ثم وضعه على بطن النبي ﷺ وقال له: يا محمد: من يمنعك؟ فقال النبي ﷺ: الله، فسقط السيف من يد الأعرابي، فأخذه النبي ﷺ وقال له: أنت من يمنعك مني؟ قال: "يا محمد كن خير آخذ" أنت رجلٌ طيب، فتركه النبي ﷺ.[6]

انظر حقيقة التوحيد، وقال الله ﷻ: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ} فماذا حدث لهم؟ {فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ}[آل عمران:173] حسبنا الله ونعم الوكيل، فلابد أيها الكرام أن نرجع مرةً أخرى إلى الإيمان، أن يكون إيمانك بالله ﷻ مثلما قال النبي ﷺ في مقام الإحسان؛ مقام المشاهدة، أول أمر مقام المراقبة ثم مقام المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه) هذا اسمه مقام المشاهدة، هذا أعلى أمر، فإن لم تستطع أن تصل إلى هذه المنزلة (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[7].

---

[6] [عن أبي هريرة:] كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا نزل منزلًا نظروا أعظمَ شجرةٍ يرونَها فجعلوها للنبيِّ ﷺ فينزل تحتَها وينزلُ أصحابُه بعد ذلك في ظلِّ الشجرِ فبينما هو نازلٌ تحت شجرةٍ وقد علَّق السيفَ عليها إذ جاء أعرابيٌّ فأخذ السيفَ من الشجرةِ ثم دنا من النبيِّ ﷺ وهو نائمٌ فأيقظه فقال يا محمدٌ من يمنَعُك مني الليلةَ فقال النبيُّ ﷺ اللهُ فأنزل اللهُ {يا أيُّها الرَّسولُ بلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} الآية

الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٦٤٥/٥ • إسناده حسن • أخرجه ابن حبان كما في «موارد الظمآن» للهيثمي (١٧٣٩)

[7] [عن أبي هريرة:] أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يَومًا بارِزًا لِلنَّاسِ، إذْ أتاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ما الإيمانُ؟ قالَ: الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، ولِقائِهِ، وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ الآخِرِ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ما الإسْلامُ؟ قالَ: الإسْلامُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ولا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ما الإحْسانُ؟ قالَ: الإحْسانُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ مَتى السّاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْئُولُ عَنْها بأعْلَمَ مِنَ السّائِلِ، ولَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عن أشْراطِها: إذا ولَدَتِ المَرْأةُ رَبَّتَها، فَذاكَ مِن أشْراطِها، وإذا كانَ الحُفاةُ العُراةُ رُؤُوسَ النّاسِ، فَذاكَ مِن أشْراطِها، في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلّا اللَّهُ: {إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرْحامِ} ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقالَ: رُدُّوا عَلَيَّ فأخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شيئًا، فَقالَ: هذا جِبْرِيلُ جاءَ لِيُعَلِّمَ النّاسَ دِينَهُمْ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٧٧٧ • [صحيح]

إذًا أول معلم من معالم الإصلاح وأول طريق من طرق الإصلاح؛ سلامة المعتقد، أن يكون الناس عقيدتهم سليمة، نحن كيف نريد أن ينصرنا الله ﷻ، وأن يمكّن لنا في الأرض، وأن.. وأن.. وأن.. ونحن لم نحقق بعد شروط التمكين!

أول شرط من شروط التمكين: {ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ}[الحج:41] أين هذه الأربعة لكي يمكّن الله ﷻ لنا.

أول شرط من شروط النصر {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ}[الحج:40] هي هكذا بالضبط؛ إن أنت حققت الشرط؛ حقق الله ﷻ لك الجزاء، لكن نحن لم نحقق الشرط بعد، فكيف يحقق الله ﷻ لنا الجزاء ونحن نخاف من غير الله ونتوكل على غير الله ونعمل حسابًا لأمم الشرق والغرب؟! الله ناصرنا ﷻ، ومن كان الله ﷻ معه لا يُغلَب {كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ}[المجادلة:21]، {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ } قال الله ﷻ {أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ}[البقرة:214].

حققوا الشروط فنصرهم الله ﷻ، لكن لما يتخلف عنهم شرطٌ من شروط النصر لابد أن يحققوه لكي ينصرهم الله ﷻ، أيضًا يا إخوة أول شرط من شروط التمكين؛ تحقيق التوحيد الصادق لله ﷻ.

فهذا أول شرط من شروط التمكين وأول معلم من معالم الإصلاح؛ سلامة المعتقد.

المعلم الثاني من معالم الإصلاح؛ تصحيح العبادة.

وأنتم تعلمون أن العبادة لا تكون صحيحة إلا بشرطين:

- **الشرط الأول: أن تكون مخلصًا فيها.**
- **الشرط الثاني: أن تكون موافقة لسنة النبي ﷺ.**

قال الله ﷻ: {فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا}[الكهف:110]

وقال الله ﷻ: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[هود:7]، سُئل الفضيل بن عياض: ما أحسن العمل؟ قال: هو أخلصه وأصوبه، ما هو صالح العمل؟ قال: اتباع السنة.

إذًا يا عباد الله، العبادة لابد أن تكون صحيحة!

فكيف تكون العبادة صحيحة؟ أول أمر تكون العبادة صحيحة بالإخلاص، أن تخلص لله ﷻ، قال الله ﷻ في الحديث القدسي: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[8].

ولذلك أنتم تعلمون أن أول ثلاثة تُسَعَّر بهم النار: (رجل عالم ورجل قارئ للقرآن ورجل منفق جواد كريم) يا الله! هؤلاء أول ثلاثة تسعر بهم النار، يُؤتى بهؤلاء الثلاثة، فيوقِفهم الله عزَّ وجلَّ بين يديه، فيقول الله تعالى لِقارئ القرآن العالم، (آتيتك العلم)، لأن الله عزَّ وجلَّ هو الذي يؤتي العلم سبحانه وتعالى، {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البَقَرَة 282]، {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}، {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكَهْفِ 65]

إذًا الله هو ذاته الذي يُعَلِّم، فيقول الله ﷻ (آتيتك العلم، فماذا عملت فيه؟)، فيقول: "يا رب قرأت القرآن، وعلَّمته فيك"، فيقول الله ﷻ (قد كذبت! إنما قرأت ليقال قارئ، وقد قيل، فلا أجر لك عندي)[9]

سؤال: هل هذا الرجل قرأ أم لم يقرأ؟ قرأ، بدليل أن الله قال له ماذا؟ (قرأت)، هذا الرجل علم أم لم يعلم؟ علم، بدليل أنه قال "علمته فيك"، إذًا قال الله ﷻ له (كذبت)؟ لأنه ماذا قال لله؟ "فيك"

فقال الله له لا، (كذبت)، أنت صحيح علمته، لكن ليس من أجلي؛ وإنما ليقال قارئ، وقد قيل! فلا أجر لك عندي، {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان:23] وقال الله ﷻ

---

[8] [عن أبي هريرة:] يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ من عمِل لي عملًا أشرك فيه غيري فهو له كلُّه أنا منه بريءٌ وأنا أغنى الأغنياءِ عن الشِّركِ.
العراقي (ت ٨٠٦)، تخريج الإحياء للعراقي ٣٦١/٣ • إسناده صحيح • أخرجه مسلم (٢٩٨٥) باختلاف يسير.

[9] [عن أبي هريرة:] إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقْضى يومَ القيامةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حتّى اسْتُشْهِدْتُ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لأنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتّى أُلْقِيَ في النّارِ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتّى أُلْقِيَ في النّارِ، ورَجُلٌ وسَّعَ اللَّهُ عليه، وأَعْطاهُ مِن أصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النّارِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٩٠٥ • [صحيح]

{وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عملوا وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزُّمَرِ:47-48] -نعوذ بالله ﷻ من سوء الخاتمة وجور العاقبة-.

الثاني ينفق أموالًا، ينفق على الأيتام، ينفق على المساكين، يعطي من ماله، ليس بخيلًا، ولا مُقَتِّرًا؛ إنما يعطي وينفق، ويبني المساجد ويفعل ويفعل، فيوقفه الله بين يديه، ويقول له (آتيتك المال، فماذا فعلت فيه؟) فيقول: "يا رب أنفقته فيك"، فيقول الله له (قد كذبت! إنما أنفقت ليقال منفق، وقد قيل، فلا أجر لك عندي).

ويؤتَى بالثالث المجاهد، فيقول (آتيتك الصحة والقوة فماذا فعلت فيها؟)، فيقول: "يا رب! قاتلت حتى قُتلت فيك"، فيقول الله له: (كذبت! إنما قاتلت ليقال شجاع، وقد قيل، فلا أجر لك عندي).

إذًا يا عبد الله أول ما تبدأ العمل لا بد أن تسأل نفسك سؤالًا قبل العمل وسؤالًا بعد العمل؛

السؤال الذي قبل العمل تسأل نفسك هل أنت مخلصٌ أم لا؟ لو لم تكن مخلصًا، فورًا صحح نيتك؛ لأن بهذه النية ستصل إلى الثواب، قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[10]، وقال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[البينة:5]، وقال الله تعالى: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ }[الزمر:3] الخالص، قبل أن تفعل أي شيء، قبل أن تفعل أي عبادة.

نحن اتفقنا أن العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال أو الأعمال الظاهرة والباطنة، كل هذا عبادة لله ﷻ، فقبل أن تفعل العبادة، قبل أن تُقدم على العبادة، قبل أن تفكر أن تُقدِم على العبادة لابد أن تسأل نفسك أولًا.. هل أنا مخلص أم لا؟ أنا أفعل هذه العبادة ابتغاء من؟

لابد أن تفعل هذا الأمر ابتغاء مرضاة الله؛ ولذلك نبه الله على هذا فقال { لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }[النساء:114] مفهوم المخالفة للآية "فإنه من لم يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فلن يأخذ

[10] [عن عمر بن الخطاب:] إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وإِنَّمَا لِامْرِئٍ ما نَوَى، فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٩٠٧ • [صحيح]

أجرًا"، إذا دعتك نفسك ألا تكون مخلصًا، فورًا تذكر الحديث! (أول من تُسعر بهم النار؛ عالم ومجاهد ومنفق)[11] تذكر هذا الحديث فورًا حتى يدعوك إلى أن تخلص، أن تعمل العمل خالصًا لله، هذا الشرط الأول من شروط تصحيح العبادة.

إذًا نحن قلنا أن المعلم الأول من معالم الإصلاح ماذا؟ سلامة المعتقد، أن يكون المعتقد سليم.

المعلَم الثاني، تصحيح العبادة، ويشمل نقطتان؛ العبادة حتى تكون صحيحة لابد لها من شرطين؛ الشرط الأول أن تكون ماذا؟ أن تكون العبادة خالصة لوجه الله، لا يبتغى بها لا رياء ولا سُمعة ولا تعجب بعبادتك ولا تتكبر على الناس بها، لا! أبدًا؛ لأنك لا تعرف أصلًا هذا العمل قُبِل أم لم يقبل، أنت لا تعرف؛ ولذلك كان بعض السلف يقول "لو أعلم أن الله ﷻ تقبل مني سجدة واحدة لتمنيتُ الموت" لو أنا أعلم أن ربنا تقبل سجدة واحدة لكنت تمنيتُ الموت، لا أحد يدري هل يقبل الله ﷻ منه عمله أم لا

قال النبي ﷺ: (وإن أحدكم ليعمل لزمانٍ طويل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه القول، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل لزمان طويل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه القول فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[12].

أنا قلت لكم المرة السابقة أن سفيان الثوري –رحمه الله– كان يبكي في مرض موته، فقالوا له: أخائفٌ من الموت أم ماذا؟ فقال لهم لا، أنا لست خائفًا من الموت، فقالوا له: أخائف من ذنوبك أم ماذا؟ قال لا، لست خائفًا من ذنوبي، ثم أخذ تبنة من على الأرض وقال "والذي نفسي بيده إن ذنوبي أهون علي من هذه، لكني أخاف من سوء الخاتمة!" أخاف من سوء الخاتمة.. هو يخاف من هذا فقط –نسأل الله أن يجعلنا من أهل الخاتمة الحسنة–.

---

[11] [إن أولَ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ ثلاثةٌ: منهم: الذي طلب العلمَ وقرأ القرآنَ لغيرِ اللهِ ليقالَ: هو عالمٌ، وليقالَ له: قارئٌ]
ابن باز (ت ١٤١٩)، مجموع فتاوى ابن باز ٢/٣٠٧ • صحيح

[12] [عن عبدالله بن مسعود:] حَدَّثَنا رَسولُ اللَّهِ ﷺ وهو الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إلَيْهِ مَلَكًا بأَرْبَعِ كَلِماتٍ، فيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وأَجَلُهُ، ورِزْقُهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها إلَّا ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها إلَّا ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٣٣٢ • [صحيح] • أخرجه مسلم (٢٦٤٥) باختلاف يسير

إذًا يا إخوان! الشرط الأول من شروط تصحيح العبادة ما هو؟ الإخلاص؛ أن تكون مخلصًا لله ﷻ، الشرط الثاني من شروط تصحيح العبادة، ما هو؟ موافقة السُنة، اتباع النبي ﷺ في هذه العبادة..

إذًا تسأل نفسك أول سؤال، هل هذه العبادة أنا مخلصٌ فيها لله؟ لو كنت مخلصًا

حسنًا انظر إذًا الشرط الثاني، هل أنت متبعٌ لسنة رسول الله ﷺ في هذه العبادة؟ لا بد أن تتبع السُنة إذا كنت تحب النبي ﷺ، فإن من علامات محبتك للنبي ﷻ أن تتبع سُنتهُ.

لذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه حينما حدَّثوه عن بعض المسائل، فقال "أأترك سنة النبي ﷺ! إني أخاف إن تركت سنة النبي ﷺ أن أضل" أخاف أن أترك سُنة النبي ﷺ فأضل.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما "أقول لكم قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر!! والذي نفسي بيده توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء"، أنا أقول لكم قال النبي ﷺ وأنتم تقولون قال أبو بكر وعمر؟! توشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء.

وأبو هريرة لما كلمه ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقال له: "يا أبا هريرة أنتوضأ من الحميم؟" مذهب أبي هريرة رضي الله عنه أن الإنسان إن سخن بعض المياه على النار ليتوضأ، فإن هذه المياه لا تصلح للطهور، -وإن توضأت بها، فماذا يجب أن تفعل؟ تتوضأ مرةً ثانية لأن وضوءك هذا لا يصح-، مذهب أبي هريرة رضي الله عنه الوضوء مما مست النار، يعني أي شيء عمومًا؛ -سواء كان مياه أو غيره- وضعته على النار وأكلت منه فلابد أن تتوضأ، فقال ابن عباس لأبي هريرة رضي الله عنهما: "يا أبا هريرة أنتوضأ من الحميم؟"

يعني أنا إن سخنت بعض المياه، هل أذهب أتوضأ منها ثانية؟ فأمسك أبو هريرة رضي الله عنه حفنةً من التراب وقال: "يا ابن أخي أشهد عدد هذا الذر أني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك، يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله فلا تضرب له الأمثال"، حين أقول لك قال رسول الله ماذا ترد وتقول؟ سمعنا وأطعنا، هذا قول المؤمنين، {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النُّور ٥١].

إذًا الإنسان الذي يريد الفلاح يتبع النبي ﷺ لكي تكون عبادته صحيحة، لكي يتقبلها الله ﷻ، فإن جميع الأبواب إلى الجنة قد سُدَّت، كل الأبواب سُدَّت إلا الباب الذي يدخل منه مِن طريق النبي ﷺ،

كل الأبواب سُدَّت، الطريق الوحيد المؤدي للجنة، طريق من؟ طريق محمد ﷺ، قال الله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آلِ عِمْرَانَ:٨٥]

إذًا يا عباد الله يجب أن تكون عبادتك بإخلاص، ولا يكفي الإخلاص فقط، فيجب أن تكون أيضًا متبعًا لسنة النبي ﷺ، إذًا أي عبادة تكون مخالفة لهذين الشرطين تكون صحيحة أم باطلة؟ تكون باطلة.

من الواقع الذي نعايشه مثلًا "شم النسيم"، هذا مما طرأ على المسلمين، هذه العبادة إذا فصلناها إلى معالم الإصلاح التي ذكرناها.. كم مَعلم من معالم الإصلاح ذكرنا حتى الآن؟ اثنان، وكم معلم في الأصل؟ ثلاثة؛ المعلم الأول "سلامة المعتقد"، المعلم الثاني "تصحيح العبادة"، ولتصحيح العبادة شرطان: الشرط الأول الإخلاص، الشرط الثاني المتابعة.

انتبه لم يحتفلون بشم النسيم؟ هل هو خاص بالمسلمين في الأصل؟ لا، بل هو خاص بالفراعنة، ثم أخذه اليهود عن الفراعنة، ثم النصارى عن اليهود.

إذًا من باب سلامة المعتقد هل ينبغي أن يبتعد عنه المسلمون أم لا؟ نعم، يبتعدون عنه.

بداية هل هذه عبادة؟ لا، ليست عبادة، حسنًا إذا افترضنا أنها عبادة، لأن الأصل –في الأعياد– أنها عبادة، ونحن كمسلمين ليس لنا إلا إلا عيدان، هما الفطر والأضحى، ويوم عرفة عيد، ويوم الجمعة هو العيد الأسبوعي، لكن الأعياد التي أمر المسلمون أن يحتفلوا بها هما عيدان، إذًا لا يجوز لنا أن نحتفل بشم النسيم.

حتى لا أطيل عليكم إذًا لنعد مرةً أخرى، نقول أن المعلم الأول من معالم الإصلاح، سلامة المعتقد أن تكون عقيدتك صحيحة، خاف الصحابة من الشرك وخافوا من الكفر وخافوا من النفاق، كما بينت لكم اليوم كيف فعل بعض أصحاب النبي ﷺ.

فأنت لا تأمن على نفسك! لا تأمن على نفسك من النفاق! ولا تأمن على نفسك من الكفر! لا تأمن على نفسك من الشرك؛ بل لابد أن تصحح اعتقادك مرةً بعد مرة، حتى قد قال بعض الأئمة: "إني لأصحح إسلامي منذ أربعين سنة، وما أراني أسلمت إسلامًا جيدًا" هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، يصحح الإنسان إسلامه كل يوم فيكتشف ثغرة، كل يوم يكتشف شبهة، كل يوم يكتشف موقفًا فيصحح الإيمان، فنسأل الله عزَّ وجلَّ أن يتوفانا على العقيدة السليمة الصحيحة القامة.

المعلم الثاني من معالم الإصلاح تصحيح العبادة، ولابد لتصحيح العبادة من أمرين؛ الأمر الأول أن تكون خالصة لله، والأمر الثاني أن تكون موافقة لسنة النبي ﷺ.

الأمر الثالث من معالم الإصلاح تزكية النفس، انتبه! قال الله ﷻ: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشَّمْسِ:1-7] كم قَسم؟ أحد عشر قسمًا.

يقسم الله ﷻ العظيم سبحانه وتعالى أحد عشر قسمًا متتاليًا، علامَ؟ لماذا يقسم هذه الأقسام كلها؟ لماذا يحلف هذا الحلف كله؟

قال الله: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشَّمس:1-10]

وقال الله ﷻ {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأَعْلَى:14-15]؛ ولذلك قال بعض المفسرين في قول الله تعالى { وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ }[فصلت:6-7]، قال بعض المفسرين: "الزكاة هنا بمعنى التزكية -تزكية النفس-".

إذًا يا عباد الله، تزكية النفس أمرٌ هام، أمر هام للغاية أن تسعى في إصلاح قلبك؛ لكي تصل إلى الله بقلبٍ سليم {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشُّعَرَاءِ: 88-89] سليمٌ من ماذا؟ سليمٌ من أمراضه، سليمٌ من شوائبه، فهل قلوبنا يا عباد الله سليمة أم لا؟

انتبه، الإنسان منا حينما يمرض قلبه الحسي ويتألم منه، هل يشعر أم لا يشعر؟ يشعر، أليس كذلك؟ وإذا تألم أي عضو من أعضاء الجسد أيشعر به أم لا؟ إذًا حينما تمرض إلى أين تذهب؟ إلى الطبيب، صحيح؟ لأنه يعلم العلاج؛ لكن بكل أسف، حينما يمرض قلب الإنسان يشعر أم لا؟؟ حسنًا، إذا شعر أن قلبه مريضًا، أيذهب لطبيب أم لا؟

يجب يا عباد الله أن نفعل، لابد أن نزكي أنفسنا، كان النبي ﷺ يقول: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[13] دومًا يحتاج الإنسان إلى تزكية النفس، يحتاج إلى إصلاح قلبه، يحتاج إلى القرب من الله ﷻ.

عمرو بن ميمون –رحمه الله تعالى– قال لولده يومًا..، عمرو بن ميمون كاتب عمر بن عبد العزيز، وتأخرت وفاته إلى زمان الحسن البصري أبو سعيد،

- قال عمرو بن ميمون لابنه: "يا بني، اذهب بي إلى الحسن"
- فذهب به إلى الحسن.. فطرق الباب، فخرجت الجارية
- فقال لها: "أين الحسن؟"
- قالت له: "من أنت؟"
- قال: "أنا عمرو بن ميمون!"
- قالت: "كاتب عمر؟ أنت عمرو كاتب عمر بن عبد العزيز؟ ما أبقاك إلى هذا الزمان؟" إلى زمان السوء، أنت حيٌّ من أيام عمر بن عبد العزيز؟!
- فبكى عمرو، وقال لها: "أين الحسن البصري؟"
- فلما طلع الحسن البصري –رحمه الله– انظر إلى ذلك وانتبه، قال: "يا أبا سعيد استلم قلبي" عجبًا! ماذا يقول له؟ "استلم لقلبي!" يقول: أنا شعرت بقساوة في قلبي فألنهُ لي. قال: قرأ الحسن: {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} [الشُّعَرَاءِ:205-207] قال: فجعل الحسن على الأرض، وجعل عمرو بن ميمون يبكي –رحمه الله–، فعمرو بن ميمون يسأله ابنه...
- قال: "يا بني لقد قرأ آيات تفتت الصخر"، قال " أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ " أهو كذلك؟! هو شعر بهذا سنين يعيش في الدنيا، ثم جاءه الملكان وانتهى الأمر؛ ولذلك كان يقول بعض السلف لبعض: "اجلس بنا نؤمن ساعة"، يجب أن يكون الإنسان هكذا، لابد للإنسان أن

[13] [عن أنس بن مالك:] اللهم يا مُقلِّبَ القلوبِ، ثبِّتْ قلبي على دينِك
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الأدب المفرد ٥٢٧ • صحيح • أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (١٢١٢٨) باختلاف يسير، وابن ماجه (٣٨٣٤) مختصراً وفيه زياده، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٨٣) واللفظ له

يخلو بنفسه، وأن يحاول معرفة خلل القلب، وأن يسعى في إصلاح هذا القلب، يجب ذلك يا عباد الله.

انظر مثلًا، سأذكر لكم حديثًا وكلكم تحفظونه، حديثٌ رواه الترمذي في سننه، من حديث عبد الله بن عباس أنه قال: "كنت ربيب النبي ﷺ على حمار له" التواضع؛ انظر تواضع النبي ﷺ، كان ابن عباس يركب خلفه على حمار، فقال لي: (يا غلام، إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لن يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف)[14]، وفي روايةٍ أخرى قال النبي ﷺ: (تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة).

{فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصَّافَّات:143-144] حين ذهب ذو النون عليه السلام مغاضبًا وظن أن لن يقدر عليه، فماذا عمل؟ {وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ...} [الأنبياء:87-88]، في سورةٍ أخرى قال الله ﷻ {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصَّافَّات:143-144].

إذًا لأجل ماذا؟ تسبيحه قبل ذلك، وتزكيته لنفسه، وصلاته نجَّاه الله ﷻ، وكما ورد في بعض الآثار أن الملائكة قالت: "يا رب هذا دعاء معروف من عبد معروف" مألوفٌ إليهم، حصونك مستمرة في السماء.

إذًا يا عباد الله! إلامَ يحتاج كلٌّ منا؟ كلٌّ منا يحتاج إلى إصلاح النفس، وهذا إن شاء الله تعالى ما سيكون معنا في الحديث القادم إن شاء الله تعالى، سنتكلم عن هذا الأمر عن تزكية النفس؛ كيف يزكي الإنسان نفسه؟ سأتكلم إن شاء الله تعالى عن الأمور المهلكات التي تهلك النفس، والأمور المنجيات التي

[14] [عن عبد الله بن عباس:] يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سألْتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت على أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٥١٦ • صحيح • أخرجه الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له، وأحمد (٢٦٦٩)

بإذن الله ﷻ إن فعلها الإنسان المسلم، يصبح من الناجين من عذاب الله، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم، لكن لابد أن نبدأ.

يجب يا عبد الله أن تتعرف إلى الله في الرخاء؛ كي يعرفك الله في الشدة، كثيرٌ من الناس منذ زمن، لم يرفع يده ويقول "يا رب" إلا حينما يقع، وقتما يقع، أو تصيبه المصيبة أو يحدث له كذا، أو يحدث له مكروه، يتذكر حينئذٍ أنه يقول: "يا رب!"، اعرفه في الرخاء، فتجد أن الله يعرفك، أين؟ في الشدة، يجب أن تكون هكذا، حتى ولو لم تكن واقعًا في ضيق، تقول لستُ محتاجًا، لا! بل أنت محتاج! { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ }[فاطر:15-17].

إذًا أنت يجب أن تتعرف إلى الله ﷻ في الرخاء، في الوقت الذي تظن أنك لا تريد شيئًا، يجب أن ترفع يداك وتقول: "يا رب"، أن ييسر الله ﷻ أمورك؛ لذلك والله الحديث الذي سأذكره لكم حديثٌ رائع فيه معنًى جميل، وذكرته لكم مرارًا.

قالت عائشة رضي الله عنها: قام النبي ﷺ مرة ليلة فقال: (يا عائشة ذريني أتعبد لربي)[15]، ذريني أتعبد لربي! الليلة لله، ليلة كاملة لله، من منا يفعل ذلك؟ ويأتي ليلة من أولها ويقول للدنيا: "ذريني أتعبد لله اليوم" لا يوجد شيئًا آخر نهائيًا، اليوم لله ﷻ ما بين صلاة وقيام وذكر، وتعبد ودعاء وبكاء، وخشوع وخضوع ورغبة وإنابة ورهبة، (ذريني أتعبد لربي)، فقالت عائشة رضي الله عنها له؛ أي للنبي ﷺ: "يا رسول الله والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك"، فقال: وفي بعض الآثار فسمعته يقول: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك)، يا الله! هذا النبي ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[16]، النبي ﷺ يقول هذا!!

---

[15] [عن عائشة أم المؤمنين:] قام [أي رسولَ اللهِ ﷺ] ليلةً من الليالي فقال: يا عائشةُ ذَريني أتعبَّدُ لربي قالت: قلتُ: واللهِ إني لَأُحبُّ قُربَك وأحبُّ أن يُسرَّك قالت: فقام فتطهَّر ثم قام يصلي فلم يزلْ يبكي حتى بلَّ حِجرَه ثم بكى فلم يزلْ يبكي حتى بلَّ الأرضَ وجاء بلالٌ يُؤذِنه بالصلاةِ فلما رآه يبكي قال يا رسولَ اللهِ تبكي وقد غفر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخَّر قال أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟ لقد نزلتْ عليَّ الليلةَ آياتٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والْأَرْضِ} الآية
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ١٤٧/١ • إسناده جيد

[16] [عن عائشة أم المؤمنين:] اللهمَّ إني أعوذُ برضاك من سخطِك، وبمعافاتِك من عقوبتِك، وأعوذُ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسِك

من يقول هذا؟ اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك! مع أن الله بشّره برضاه، الله ﷻ بشّر النبي ﷺ برضاه، (وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

إذًا يا عباد الله! من أراد أن يتعرف على منهج الأنبياء في الإصلاح، فسيجد أن منهج الأنبياء في الإصلاح أمرٌ من ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: سلامة المعتقد لمن يريد أن يَصْلُح أو يُصلِح يجب عليه أن يتبع الثلاث خطوات..

وأنا نسيت أن أذكر لكم في المعنى الثالث الذي هو تزكية النفس أن الله ﷻ نزل في هذا آية في غاية الروعة، قال الله ﷻ { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } يا الله! { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ..} هل المفلحين؟ لا، هل المحسنين؟ لا، هل المؤمنين؟ لا، فماذا؟ {الْمُصْلِحِينَ}[الأعراف:170].

انتبه من هذا { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ } أي القرآن { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } القرآن مع ماذا؟ القرآن مع الصلاة؛ لذلك أول ما نزل القرآن فُرضت الصلاة مباشرة.

انظر في أوائل السور التي نزلت {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } [الْمُزَّمِّلُ:1-10] إلى آخر الآيات، قال الله في ختام الآيات {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل ٢٠].

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٢٨٠ • صحيح • أخرجه مسلم (٤٨٦)، والترمذي (٣٤٩٣)، وابن ماجه (٣٨٤١)، وأحمد (٢٥٦٩٦) باختلاف يسير، وأبو داود (٨٧٩)، والنسائي (١٧٤٧) واللفظ لها.

إذًا نعود مرة أخرى ونختم؛ المعلم الأول من معالم الإصلاح سلامة المعتقد أن تكون العقيدة سليمة في وسطِ الناس، في نفسك أولًا ثم في الناس.

- المعلم الثاني من معالم الإصلاح عند الأنبياء تصحيح العبادة أن العبادة تتوافر فيها الشروط؛ أن تكون خالصة لله، وأن تكون على هدي النبي ﷺ.
- المعلم الثالث من معالم الإصلاح والأخير تزكية هذه النفس {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشَّمْسِ:7-10] نسأل الله ﷻ أن يزكي نفوسنا.

وهذا إن شاء الله تعالى ما سيكون معنا في المرات القادمة إن شاء الله وقدَّر، نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علمًا.

كما نسأله ﷻ أن ينصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوهم وعدونا يا رب العالمين، اللهم انصرهم على عدونا وعدوك يا رب العالمين، اللهم إنهم يُقَتِّلونهم فاقتلهم يا رب العالمين، اللهم أهلكهم، اللهم لا ترفع لهم راية ولا تحقق له غاية، اللهم انصر المستضعفين في كل مكان، اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشدٍ يُعَز به أهل طاعتك، يا رب ويُخذل به أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، وصلى الله على نبينا محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.